

المجاز

(تابع لما في الجزء الاول)

اما الغرض من الاستعارة فحاصل ما يؤخذ من كلامهم انه ينحصر في ثلاثة اوجه احدها المبالغة في وصف المشبه بالمعنى الذي اشترك فيه طرفا التشبيه كما في استعارة الاسد للرجل فانها تتضمن الحاقه بجنس الاسود حتى صار كأنه واحدٌ منها وهي غاية ما يمكن بلوغه في الوصف بالشجاعة . والثاني الزيادة في ايضاح المعنى بنقله من الصورة العقلية الى صورة حسية كما في استعارة النطق للدلالة واثبات الجناح للسفر فان فيهما من ابراز الدلالة العقلية في صورة اللفظ المسموع وتمثيل السفر بصورة ذي الجناح ما يزيد المعنى قوة وظهوراً . والثالث الاكثار من الالفاظ المترادفة تبسيطاً في اللغة واسترسالاً في طرق التعبير وذلك كما تسمى الخوذة التي تلبس على الرأس بالبيضة وكما تسمى بالتريكة وهي بيضة النعام بعد ان يخرج منها الفرخ بجامع ما بين الطرفين من الشبه في الهيئة . وليس شيء من ذلك يصلح لغرضنا في هذا المقام لان الوجهين الاولين يُقصد بهما المبالغة في تصوير المعنى لا التعبير عنه باللفظ الموضوع له وبعبارة اخرى تأدية المعنى بلفظ اقوى دلالة من لفظه الوضعي . فحاصل كليهما المعاورة بين الفاظ موضوعة بعضها اقوى من بعض . والوجه الثالث مقصور على تعدد الوضع في المعنى الواحد فقائدته تكثير الالفاظ على غير زيادة في مدلولاتها . ولا يخفى ان كل ذلك انما هو من غرض البياني دون اللغوي ومما يتوخاه الشاعر ومن في معناه لا الكاتب

الذي يتطلب لكل معنى لفظه المخصوص به . وبقي هناك وجهٌ رابع لم نجد من تعرّض له وهو التدرُّع الى الوضع فيما لم يوضع له لفظٌ كما مرّ من تسمية البياض في العين بالكوكب فان هذا البياض لم يوضع له اسمٌ في اللغة فاستعير له لفظ الكوكب لما بين الطرفين من الشبه . وهذا هو المقصود من بحثنا في هذا الموضع لان غرضنا الوصول الى استنباط الفاظٍ للمعاني التي طرأت بعد الوضع الاول وهو احد طريقي العرب في توسيع لفظها بحيث ان ما لم يتهيأ لها تناوله من طريق الاشتقاق على ما تقدم ذكره في البحث السابق اخذته بالنقل من طريق المجاز وهو اشتقاقٌ معنويٌّ كما لا يخفى

اذا تقرر هذا علم منه ان الذي يصلح لما نحن فيه الاستعارة الحقيقية دون التخيلية والذي يصلح من الاول ما كان وجه الشبه فيها يفيد تصوير المعنى بصورةٍ تمثله للذهن على حقيقته او ما يقرب منها لا ابرازه في صورةٍ تعظمه في الخيال وبعبارةٍ اخرى ما كانت زيادة قوته في المشبه به على المشبه من حيث الواضح لا من حيث المقدار . وذلك كما في استعارة الكوكب للبياض في العين فان المقصود منها مجرد المناسبة في الشكل اذ كلٌّ منهما نقطةٌ بيضاء يحيط بها سواد الا ان هذه الهيئة في النجم اوضح واشهر . والمراد بالتخيلية فيما ذكر ما كانت فائدتها مجرد التخيل مثل جناح السفر فان الجناح لم يشبه به شيء وانما قصد به تخيل أن السفر مشبهٌ بالطائر فهو لا فائدة له في نفسه ولكن فائدته في غيره كما لا يخفى . واما ان كان التخيل بشيء قد استعير استعارةً حقيقيةً مثل نطقت الحال فيكون بحسب فائدة الحقيقية فان افادت مجرد المبالغة مثل استعارة النطق للدلالة

لم تكن من غرضنا ايضاً والا اعتُبرت الفائدة في اللازم وحدهُ وكان التخيل امراً خارجياً . واما الاستعارة بالكناية فلا كلام في انها لا تصلح لشيء مما نحن فيه لان المدار هنا على استنباط لفظٍ للمشبه وهو مذكورٌ فيها صريحاً لما علمت من ان الذي يُذكر فيها هو المشبه لا المشبه بهِ فهي ليست من الاستعارة في شيء وانما يُطلق عليها لفظ الاستعارة توسعاً

ولما كان المقصود من هذا البحث وضع الفاظٍ لمعانٍ لم يوضع لها لفظٌ في اللغة بحيث تكون تلك الفاظُ عرضةً للاستعمال كلما احتيج الى التعبير عن مدلولاتها لزم ولا بدّ ان تُلحق باصل اللغة وتُستعمل استعمال الفاظ الموضوع . ومتى صار اللفظ بهذه المنزلة واشتهر استعماله بالمعنى المجازي عدّه حقيقةً عرفيةً وتنزل من المعنى الحقيقي منزلة اللفظ المشترك واذ ذاك يكون احتياجه الى القرينة لمجرد التمييز بين معنى ومعنى كما تحتاج بقية المعاني معه لالمنع ارادة المعنى الحقيقي كما يكون في سائر انواع المجاز . واكثر ما تجد هذا النوع من الفاظ مما كان وجه الشبه فيه حسياً لظهور العلاقة فيه وبداهة وجه الشبه بحيث يتبادر معناه المجازي الى الذهن ويزاحم فيه المعنى الحقيقي . وهو اما ان يكون الهئية المشخصة لذات الشيء كما في استعارة الكوكب فيما ذُكر وكما يسمى غضروف الاذن بالحجارة اي الصدفة لمشابهة لها في الشكل ويقال له الصدفة ايضاً وكتسميتهم الهئية الناشزة في مقدّم الاذن بالوتد واللحميتين المتدليتين في جانبي الحلق باللوزتين والبياض الذي في اصول الاظفار بالهلل وداخل القم بالغار وهو الكهف واستعمالهم الماء للسيف والمرآة ونحوهما بمعنى ما فيهما من البريق والصنآء وكما تسمى

العقدة في طرف السوط بالثمرة والخط المستطيل من الرمل بالحبل الى غير ذلك

واما ان يكون الصورة المشخصة للجزء من الذات كما يسمى طرف المرفق بالزُج وهو الحديد في طرف الرمح ومقدم السفينة بالجوجو وهو الصدر وخصة بعضهم بصدر الطائر وهو اتمّ شَبْهاً . وكقولهم ذُؤابة الرجل للجلدة المعلقة على آخرته وكذا ذُؤابة النعل وهي ما اصاب الارض من المرسل على القدم وكلتاها من الذؤابة بمعنى الناصية وكما يقال فم القرية لمنفتحها وكذا فم البئر والوادي وغيرها وكقولهم شفة الكأس وعنق الابريق ويد الرحي والفأس وساق الشجرة وإبط الوادي ولَمَاب الخطمي وغير ذلك وهو باب واسع . وقد علمت ان المقصود من ذلك كله التشبيه بالاشياء المذكورة لذاتها غير منظور الى الذات التي هي اجزاء لها على ما بيّناه في جناح الدار وان جاز ذلك في بعضها اتفاقاً . وذلك ان قولهم فم البئر مثلاً ليس المراد منه تشبيه البئر بالحيوان اذ لا وجه لهذا التشبيه وكذا قولهم يد الفأس وذؤابة النعل لا يراد منه تشبيه الفأس بالانسان والنعل بالرأس وهلم جرا بخلاف قولك لسان الحال ومتن الباطل وجناح السفر على ما قدمنا بيانه

واما اللوازم المعنوية والمراد بها المصادر وما يُشتق منها فقد يكون وجه الشبه فيها حسيّاً كقولهم نبض البرق اذا لمع خفيفاً أخذ من نبضان العرق اذا تحرك وضرب والجامع بينهما الهيئة المحسوسة من كليهما وان اختلفت الحاسة . وكقولهم سبح الفرس اذا مدّ يديه في الجري تشبيهاً له بفعل السابح في الماء . ورنقت السفينة اذا دارت في موضع واحد لا تمضي من

ترنيق الطائر وهو ان يخفق بجناحيه ويرفرف ولا يطير. وخطر الرجل في مشيته اذا رفع يديه ووضعها من خطر ان البعير بذنبه اذا ضرب به يميناً وشمالاً. ويقال ايضاً خطر بسيفه اورمحه اذا رفعه مرةً ووضعهُ اخرى وهو مجاز المجاز. وقد يكون عقلياً نحو سرد الحديث اذا اجاد سياقته مأخوذاً من سرد الدرع وهو نسجها واستنبط المعنى اي اظهره من استنبط ماء البئر اذا استخرجه واغضى عن الذنب اي تغافل عنه وهو من اغضاء الجفن ووعيت الحديث اي عقلته وحفظته من وعى الشيء في الظرف اذا جمعه فيه وهو كثير في اللغة بل اكثر اللغة يرجع اليه

وكثيراً ما تجد في هذه الالفاظ ما يلتبس عليك فيه تمييز المعنى الحقيقي من المجازي كالجوالح لما تطاير من رؤوس القصب والبرديّة شبه القطن ولقطع الثلج المتهاقنة من الجوّ وكالكمام والكمامة لغلاف النور ولما يشد على فم البعير وغيره لثلاً يعضّ والدرع لما يلبس من الزرد ولثوب المرأة والعجاج للغبار والدخان ومثله العُثان والعُكّاب. وكقولهم جاش البحر اذا اضطرب وجاشت القدر اذا غلت وحدّق الخلّ فاهُ اي حمزه والرباط يد الشاة اثر فيها وحشكت الناقة لبنها جمعتة والسحابة كثر ماؤها وبزل الدنّ ثقبه وناب البعير طلع. والامثلة من كل ذلك في اللغة لا تحصى وفي القدر الذي ذكرناه كفاية للمستبصر

(ستأتي البقية)